

تفسير ابن كثير

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم ، فإنه كان قد أزعج خروجهم إلى عيد لهم ، فأحب أن يختلي بآلهم ليكسرهما ، فقال لهم كلاما هو حق في نفس الأمر ، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه ، (فتولوا عنه مدبرين) قال قتادة : والعرب تقول لمن تفكر : نظر في النجوم : يعني قتادة : أنه نظر في السماء متفكرا فيما يليهم به ، فقال : (إني سقيم) أي : ضعيف . فأما الحديث الذي رواه ابن جرير هاهنا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو أسامة ، حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لم يكذب إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، غير ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله ، قوله : (إني سقيم) ، وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) [الأنبياء : 62] ، وقوله في سارة : هي أختي " فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله ، حاشا وكلا وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا ، وإنما هو من المعارض في

الكلام لمقصد شرعي ديني ، كما جاء في الحديث : " إن [في] المعاريض لمندوحة عن الكذب " وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كلمات إبراهيم الثلاث التي قال : " ما منها كلمة إلا محل بها عن دين الله تعالى ، فقال : (إني سقيم) ، وقال (بل فعله كبيرهم) ، وقال للملك حين أراد المرأة : هي أختي " . قال سفيان في قوله : (إني سقيم) يعني : طعين . وكانوا يفرون من المطعون ، فأراد أن يخلو بآلهم . وكذا قال العوفي عن ابن عباس : (فنظر نظرة في النجوم . فقال إني سقيم) ، فقالوا له وهو في بيت آلهم : اخرج . فقال : إني مطعون ، فتركوه مخافة الطاعون . وقال قتادة عن سعيد بن المسيب : رأى نجما طلع فقال : (إني سقيم) كابد نبي الله عن دينه (فقال إني سقيم) . وقال آخرون : فقال : (إني سقيم) بالنسبة إلى ما يستقبل ، يعني : مرض الموت . وقيل : أراد (إني سقيم) أي : مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله - عز وجل - . وقال الحسن البصري : خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم ، فأرادوه على الخروج ، فاضطجع على ظهره وقال : (إني سقيم) ،

وجعل ينظر في السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها . رواه ابن أبي حاتم .